ذم الهوى واتباعه

دار الإمام أحمد

تحقيق
علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري

ذم الهوى واتباعه

للإمام العلامة
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
٦٩١ - ٧٥١ هـ

دار الإمام أحمد

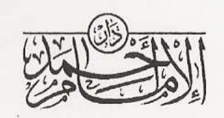
الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٨٩٨٤ / ٢٠٠٦م



٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة
هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨
E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

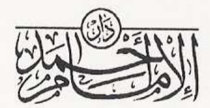
ذم الهوى واتباعه

لشيخ الإسلام ابن القيم

حققه وعلق عليه

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلبي الأثري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه رسالة: «ذم الهوى واتِّباعه» من أجمَل وأعظم ما كتبَه الحافظُ ابن قيِّم الجَوزية(١)، مُعالَجَة لأدواء النفوس وأمراض القلوب.

وأصلُ هذه الرسالة هو البابُ الأخير من كتاب «روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين» للمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) انظر ترجمته -مُفَصَّلةً- في مُقدِّمة تحقيقي لـ: «مِفتاح دار السعادة» له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



والذي دفعني لإفراد هذه الرسالة أو غيرها من الرسائل عن بعض المصنَّفات الكبيرة، هو عدم معرفة كثير من القرَّاء بِما تَحويه هذه المصنفات الكبارُ من دُرر علمية ونفائسَ شرعيَّة.

وشجَّعني على ذلك ما قاله الشيخ الداعية أبو الحسن الندوي في كتابه «رجال الفكر والدعوة .....» (٢/ ٣١٩) عن «زاد المعاد» لِـمُصنِّفنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن أُفرِزَ من هذا الكتاب كلُّ موضوع على حِدَة تسنَّت الاستفادة منه».

فوقع كلامُه -حفظه الله- في قلبِي موقعًا حسنًا، وبدأتُ بكُتُب ابن القيم غير المشهورة كشهرة «زاد المعاد» مثل: «روضة المُحبين» و«بدائع الفوائد»[١] وغيرها[٢].

فإن أصبتُ في عملي هذا -وهو ما أرجوه- فمن الله ﷻ وحده، وإن أخطأت، وجانبتُ الصواب فمن نفسي، ومن الشيطان.

(١) وقد استللت منه «ذم الحسد وأهله» مطبوع في دار عمار -عمان.

(٢) ومن «إعلام الموقعين» رسالة «ذم التقليد» يسَّر الله نشرها، وغير ذلك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه[١]

أبو الحارث علي بن حسن بن علي

٢٥/ ذي القعدة/ ١٤٢٧هـ

(١) وطبعتُهُ الثانية -هذه- بعد هذا التاريخ بعشرين عامًا؛ نسألُ اللهَ أن ينفعَ بها، ويكتب الأجرَ لِنَاشِرِها وقارئها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فالهوى: هو ميلُ النفس إلى الشيء، وفعله: هَوِيَ يَهوَى هَوًى[1]، مثل: عَمِيَ يَعمَى عمًى.

وأمَّا: هَـوَى يَهـوِي -بالفتح- فهو السقوط، ومصدَرُه: الهُوِيُّ -بالضم-، ويُقال: الهوى أيضًا على نفس المَحبوب، قال الشاعر:

إن الَّتِـي زعمـت فـؤادك ملَّهـا ... خُلِقت هواك كما خُلقتَ هوًى لَها

ويقال: هذا هوى فلان، وفلانةٌ هواه أي: مهويَّته ومَحبوبته، وأكثر ما

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢٥٣٧) للجوهري.

يستعمل في الحُبِّ المَذموم، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠-٤١].

ويُقال: إنَّما سُمِّي هوًى لأنه يَهوي بصاحبه، وقد يُستعمل في الحُب المَمدوح استعمالاً مقيَّدًا، ومنه قولُ النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تبعًا لِـمَا جئتُ به**»[1].

(١) رواه البغوي في شرح السنة (١٠٤)، وابن أبي عاصم (١٥)، والخَطيب (٤/ ٣٦٩) وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأورده النووي في أربعينه، وقال: رُوِّيناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وعلق على ذلك الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ٣٣٨)، بعد أن زاد نسبته لأبي نعيم في الأربعين والطبرانِي، ثم قال: تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه.

قلت: ثم ذكر:

١- تضعيف نعيم بن حماد.

٢- جهالة عقبة بن أوس السدوسي.

٣- الانقطاع بين عقبة، وعبد الله بن عمرو بن العاص...

قلت: وخرَّجه شيخنا الألبانِي في مشكاة المصابيح (١٦٧)، ثم علَّق على عزو التبريزي له بقوله: ثم إن عزوه إلى المذكورين يوهم أنه لَم يُخرجه من هو أعلى طبقة منهما، وليس كذلك؛ فقد أخرجه الحسن بن سفيان في الأربعين له (ق٦٥/ ١) =

وفي الصحيحين عن عُروة قال: كانت خَولَةُ بنت حكيم من اللاتِي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشةُ ﵂: «أَما تستحي المرأة أن تَهَبَ نفسها للرجل؟ فلما نزلت: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]. قلت: يا رسول الله! ما أرى ربَّك إلاَّ يسارع في هواك»[١].

وفي قصة أسارى بدر قال عمر بن الخطاب ﵁: «فَهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولَـم يَهوَ ما قلتُ ...» وذكر الحديث[٢].

=

وهو من الآخذين عن أحمد وابن معين، توفيِّ ٣٠٣، ورواه القاسم بن عساكر في أربعينه، وقال: حديث غريب.

قلت: وزاد نسبته الشيخ عبيد الله الرحماني في مرعاة المفاتيح (١/ ١٦٠) إلى الحكيم الترمذي، وأبي نصر السِّجزي في الإبانة.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٠٤)، ومسلم (١٤٦٤)، وأبو داود (٢١٣٦)، والنسائي (٦/ ٥٤)، وأحمد (٦/ ٢٦١)، والبغوي (٢٢٦٩)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٣٢) الطبعة الثانية نسبته لابن جرير، وابن أبي حاتِم، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، وأحمد (١/ ٣١، ٣٢) عن ابن عباس، عن عمر به.

وفي السنن أن أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: جئت أسألك عن الهوى، فقال: «المرءُ مع من أحب»[١].

فالهوى [إذن]: ميلُ الطَّبع إلى ما يلائمه، وهذا المَيلُ خُلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميلُه إلى المطعم والمشرب والمَنكَح ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهَوى مستحثٌّ لها لِما يريده، كما أن الغضب دافعٌ عنه ما يؤذيه، فلا ينبغي ذمُّ الهوى مطلقًا، ولا مدحُه مطلقًا.

كما أن الغضب لا يُذمُّ مطلقًا، ولا يُحمَدُ مطلقًا، وإنَّما يُذمُّ المُفرط من النوعين: وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار.

ولـمَّا كان الغالبُ من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حدِّ المنتفع به أطلق ذمُّ الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر؛ لأنه ينذُر من يقصدُ العدلَ في ذلك ويقفُ عنده، كما أنه ينذُر

(١) أصل الحديث في الصحيحين، وفي السنن أيضًا، ولكن لَـم أجد الشاهد الذي أوردَ المصنفُ الحديثَ من أجله، وهو سؤال الأعرابِي للنبي ﷺ: جئت أسألك عن الهوى! وانظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (٣/ ٢٤٧) للحسيني، وجامع الأصول (٦/ ٥٥٧) لابن الأثير الجزري.

في الأمزجـة المزاجُ المعتدل من كـل وجـه؛ بل لابدَّ من غلبة أحد الأخلاط[١] والكيفيات عليه، فحرصُ الناصح على تعديل قوى الشهوةِ والغضب من كل وجه، وهذا أمرٌ يتعذَّرُ وجودُه إلا في حقِّ أفرادٍ من العالم؛ فلذلك لَـم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذَمَّه، وكذلك في السنة لَـم يَجِئ إلا مذمومًا، إلا ما جاء منه مُقيدًا كقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكُم حَتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لِـمَا جئتُ به**»[٢].

وقد قيل: الهَوى كَمينٌ لا يؤمنُ.

قال الشَّعبِيُّ: وسُمِّي هوًى لأنه يَهوي بصاحبه.

ومُطلَقُهُ يدعو إلى اللذة الحَاضرة من غير فكر في العاقبة، ويَحُثُّ على نيل الشهوات عاجلاً؛ وإن كانت سببًا لأعظم الآلام عاجلاً وآجلاً، فللدنيا عاقبةٌ قبلَ عاقبة الآخرة، والهَوى يُعمي صاحبَه من ملاحظتها، والمروءة والدينُ والعقلُ ينهى عن لذة تُعقب ألَـمًا، وشهوة تورثُ ندمًا، فكلٌّ منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك: لا تفعلي، والطاعةُ لِمن غَلَب.

(١) الأمزجة.

(٢) تقدم تخريجه، انظر (ص٩).

ألا ترى أن الطفلَ يُؤثر ما يَهوى وإن أدَّاهُ إلى التَّلف؛ لضعف ناهي العقل عنده، ومَن لا دين له يؤثرُ ما يَهواهُ وإن ثَلَم[١] مروءته أو عَدِمها لضعف ناهي المروءَة، فأين هذا من قول الشافعي -رحمه الله تعالى-: «لو علمتُ أن المَاء الباردَ يثلم مُروءتِي لِـمَا شربته؟!».

ولَـمَّا امتُحن المكلَّف بالهوى من بين سائر البهائم، وكان كلُّ وقتٍ تحدثُ عليه حوادثُ، جُعل فيه حاكمان: حاكمُ العقل وحاكمُ الدين؛ وأُمر أن يرفع حوادث الهوى دائمًا إلى هذين الحَاكمين، وأن ينقاد لِحكمِهما، وينبغي أن يتمرَّن على دفع الهوى المأمون العواقب؛ ليتمرَّن بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه.

وليعلم اللبيبُ أن مُدمني الشهوات يصيرون إلى حالةٍ لا يلتذُّون بها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركَها؛ لأنه قد صارت عندهم بِمنزلة العَيشِ الذي لابُدَّ لَهم منه، ولهذا ترى مدمنَ الخَمرِ والجِماع لا يلتذُّ به عُشرَ معشارِ التذاذ من يفعلُه نادرًا في الأحيان، غير أن العادة مقتضيةٌ ذلك، فيلقي نفسه في المَهالك لنيل ما تُطالبه به العادة، ولو زال عنه

(١) جَرَحَها.

رَين[1] الهوى لعلم أنه قد شَقِيَ من حيثُ قدَّر السعادة، واغتمّ من حيث ظنَّ الفرح، وأَلِمَ من حيث أراد اللذَّة، فهو كالطائر المَخدوع بِحبَّة القمح، لا هو نالَ الحَبَّة ولا هو تَخلَّصَ مِما وقع فيه.

فإن قيل: فكيف يتخلَّص مِن هذا مَن قد وقع فيه؟

قيل: يُمكنه التخلُّص بعون الله وتوفيقه له بأمور:

* **أحدُها**: عزيمةُ حرٍّ يَغار لنفسه وعليها.

* **الثاني**: جُرعةُ صبرٍ يصبر نفسه على مراراتها تلك الساعة.

* **الثالث**: قوَّةُ نفس تُشَجِّعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلُّها صبرُ ساعة، وخيرُ عيش أدركه العبد بصبره.

* **الرابع**: ملاحظته حُسنَ موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة.

* **الخامس**: ملاحظتُه الألَمَ الزائدَ على لذة طاعة هواه.

* **السادس**: إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى، وفي قلوب عباده، وهو خيرٌ وأنفعُ له من لذة موافقة الهوى.

---

(١) حجابه.

* **السابع**: إيثارُه لذَّة العفةِ وعزَّتَها وحلاوتها على لذَّة المعصية.

* **الثامن**: فرحُهُ بغلَبة عدوِّه وقهره له ورده خاسئًا بغيظه وغمِّه وهمِّه؛ حيثُ لَـم ينل منه أُمنِيَّتَه، والله تعالى يُحب من عبده أن يراغم[1] عدوَّه ويغيظَه، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [التوبة:١٢٠].

وقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ [النساء:١٠٠]. أي: مكانًا[2] يراغمُ فيه أعداء الله، وعلامةُ المَحبة الصادقة: مغايظة أعداء المَحبوب ومُراغمتهم.

* **التاسع**: التفكُّر في أنه لَـم يُخلَق للهوى، وإنَّما هُيِّئ لأمر عظيم لا ينالُه إلا بمعصيته للهوى، كما قيل:

قـد هيئوك لأمـر لـو فطـنـتَ لـه ... فاربأ بنفسك أن ترعَىٰ مع الْهَمَلِ

---

(١) يهجر ويعادي.

(٢) وملجأ.

* **العاشر**: ألاَّ يَختارَ لنفسه أن يكون الحيوانُ البهيمُ أحسنَ حالاً منه، فإنَّ الحيوانَ يُميِّزُ بطبعه بين مواقع ما يضرُّه وما ينفعُه، فيؤثِرُ النافع على الضار، والإنسانُ أُعطي العقل لِهذا المَعنَى، فإذا لَم يُميِّز به بين ما يضرُّه وما ينفعُه، أو عرف ذلك وآثر ما يضرُّه، كان حالُ الحيوان البهيم أحسنَ منه، ويدلُّ على ذلك أن البهيمةَ تُصيبُ من لذَّة المطعم والمَشرَب، والمنكح ما لا يناله الإنسان مع عيش هنيء خالٍ عن الفكر والهَمِّ، ولِهذا تُساقُ إلى مَنحَرها [1] وهي منهمِكةٌ على شهواتِها؛ لفقدان العلم بالعواقب.

والآدمي لا ينالُه ما ينالُه الحيوانُ لقوَّة الفكر الشاغل، وضعف الآلة المستعمَلة، وغير ذلك، فلو كان نيلُ المشتهى فضيلةً؛ لَمَا بُخِسَ منه حقُّ الآدميِّ الذي هو خلاصةُ العالم، ووفرَ منه حظُّ البهائم، وفي توفير حظِّ الآدميِّ من العقل والعلم والمعرفة عوضٌ عن ذلك.

* **الحادي عشر**: أن يسير بقلبه في عواقب الهوى، فيتأمل كم أفاتت معصيتُه [2] من فضيلة، وكم أوقعت في رذيلة، وكم أكلة منعت أكلات،

(1) هو المكان الذي تُذبح فيه الذبائح.

(2) وذلك لأنه واقع في الهوى، والضمير عائد على من يَهوى!

وكم من لذة فوتت لذَّات، وكم من شهوة كسرت جاهًا، ونكست رأسًا، وقبَّحت ذكرًا، وأورثت ذمًّا، وأعقبت ذُلاًّ، وألزمت عارًا لا يغسله الماءُ، غير أن عين صاحب الهوى عمياءُ؟!

* **الثاني عشر**: أن يتصوَّر العاقلُ انقضاءَ غرضه مِمن يهواه، ثم يتصوَّر حالَه بعد قضاء الوطر [1] وما فاته وما حصل له.

فأفضلُ الناس من لَم يرتكب سببًا ... حتَّى يُميزَ لِما تُجنَى عواقبه

* **الثالث عشر**: أن يتصوَّر ذلك في حقِّ غيره حقَّ التصوُّر، ثم ينزلُ نفسَه تلك المنزلة، فحُكمُ الشيء حُكمُ نظيره.

* **الرابع عشر**: أن يتفكَّر فيما تطالبُه به نفسُه من ذلك، ويسأل عنه عقله ودينَه يُخبرانه بأنه ليس بشيء.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا أعجبَ أحدكم امرأة فليذكر مناتنها.

وهذا أحسنُ من قول أحمد بن الحسين [2]:

(1) الحاجة.

(2) لعله المتنبِّي المشهور، ولم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع.

لــو فكَّــرَ العاشِــقُ في منتَهــى ... حسن الــذي يسبيه[١] لَم يسبه

لأن ابن مسعود رضي الله عنه ذكر الحال الحاضرة الملازمة، والشاعر أحال على أمر متأخر.

* الخامس عشر: أن يأنف لنفسه من ذُلِّ طاعة الهوى، فإنه ما أطاع أحدٌ هواه قطُّ إلا وجَدَ في نفسه ذلاً، ولا يغترَّ بصولة[٢] أتباع الهوى وكبرهم؛ فهم أذلُّ الناس بواطن، قد جَمعوا بين فصيلتَي الكبر والذل.

* السادس عشر: أن يوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والجاه ونيل اللذة المطلوبة، فإنه لا يَجد بينهما نسبةً ألبتَّة، فليعلم أنه من أسفه الناس ببيعه هذا بهذا.

* السابع عشر: أن يأنف لنفسه أن يكون تَحت قهر عدوِّه، فإن الشيطان إذا رأى من العبد ضعفَ عزيمة وهمةٍ وميلاً إلى هواه؛ طَمِعَ

(١) يأسره.
(٢) بقدرة.

فيه وصَرَعَه، وألجَمه الهوى وساقه حيث أراد، ومتى أحسَّ منه بقوَّة عزم وشَرَفِ نفسٍ وعُلُوِّ همة؛ لَم يطمع فيه إلا اختلاسًا وسرقةً.

* الثامن عشر: أن يعلمَ أن الهوى ما خالط شيئًا إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبُه من جُملة أهل الأهواء.

وإن وقع في الزُّهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومُخالفة السنة.

وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصدَّه عن الحَق.

وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجَور.

وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيثُ يوَلِّي بهواه ويعزلُ بهواه.

وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعةً وقربة، فما قارن شيئًا إلا أفسده[١].

* التاسع عشر: أن يعلمَ أن الشيطان ليس له مدخلٌ على ابن آدم

(١) تأمل -رحمك الله- شرور الهوى ومفاسدَه وكم هي تنشر الضلال إذا اتَّسعت!

إلا من باب هواه، فإنه يطيفُ به من أين يدخل عليه حتى يفسدَ عليه قلبه وأعماله، فلا يَجد مدخلاً إلا من باب الهوى، فيسري معه سريان السُّمِّ في الأعضاء.

* العشرون: أن الله ﷻ جعل الهوى مُضادًّا لِما أنزله على رسوله، وجعل اتِّباعه مقابلاً لِمتابعة رُسُله، وقَسَّم الناس إلى قسمين:

أتباع الوحي.

وأتباع الهوى.

وهذا كثيرٌ في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ونظائره.

* الحادي والعشرون: أن الله ﷻ شبَّه أتباع الهوى بأخسِّ الحيوانات صورة ومعنًى:

فشبَّههم بالكلب تارةً؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وبالحمر تارةً، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠-٥١][1]. وقلب صورَهم إلى صورة القِردَةِ والخنازير تارة.

* الثاني والعشرون: أن متَّبع الهوى ليس أهلاً أن يُطاع، ولا يكون إمامًا، ولا متبوعًا، فإن الله ﷻ عَزَله عن الإمامة، ونَهى عن طاعته، أما عزلُه فإن الله ﷻ قال لِخليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

أي: لا ينالُ عَهدي بالإمامة ظالِـمًا، وكلُّ من اتَّبع هواه فهو ظالِـمٌ، كما قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٩].

وأما النهي عن طاعته؛ فلقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨][2].

---

(١) والقسورة: الأسد.

(٢) وفرطًا: إسرافًا.

* الثالث والعشرون: أن الله ﷻ جعل مُتَّبع الهَوى بِمنزلة عابد الوثن، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣، الجاثية:٢٣]. في موضعين[1] من كتابه.

قال الحسن: هو المنافق لا يَهوى شيئًا إلا ركبه[2].

وقال أيضًا: المنافق عبد هواه، لا يهوى شيئًا إلا فعله[3].

* الرابع والعشرون: أن الهَوى هو حِظارُ[4] جهنم المُحيط بها حولَها، فمن وقع فيه وقع فيها؛ كما في الصحيحين[5] عن النبي ﷺ أنه قال: «حُفَّت الجَنَّة بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشَّهوات».

وفي التِّرمذي[6] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «لَـمَّا خَلَقَ الله

(١) الموضع الأول هو الذي ذكره المصنف، وهو في سورة الفرقان ٤٣، والموضع الثاني في سورة الجاثية ٢٣، بزيادة حرف الفاء بعد همزة الاستفهام: ﴿أَفَرَءَيْتَ...﴾.

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٠) لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) نسبه في الدر لعبد بن حُميد مُختصرًا.

(٤) جدار.

(٥) رواه البخاري (١١/ ٢٧٤)، ومسلم (٢٨٢٣) عن أبي هريرة، ولفظ البخاري: «حُجبت!».

(٦) برقم (٢٥٦٣)، ورواه أيضًا أبو داود (٤٧٤٤)، والنسائي (٧/ ٣).

الجَنَّة أرسل إليها جبريلَ فقال: انظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها فرجع إليه وقال: وعزَّتك لا يسمعُ بِها أحدٌ من عبادك إلا دخلها، فأمر بِها فحُجبت بالمكاره وقال: ارجع إليها فانظُر إليها، فرجع فإذا هي قد حُجبت بالمكاره، فقال: وعزتك لقد خشيت ألاَّ يدخلها أحدٌ، قال: اذهب إلى النار فانظُر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها، فإذا هي يركبُ بعضُها بعضًا، فقال: وعزتك لا يسمعُ بِها أحدٌ فيدخُلَها، فأمرَ بِها فحُفَّت بالشهوات، فقال: ارجع فانظر إليها، فرجع إليها فإذا هي قد حُفت بالشهوات، فرجع إليه، فقال: وعزَّتك لقد خشيت ألاَّ ينجو منها أحدٌ».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

* الخامس والعشرون: أنه يُخاف على من اتَّبع الهوى أن ينسلخَ من الإيمان وهو لا يشعر، وقد ثبت[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يكون هواهُ تبعًا لِـمَا جئت به».

(١) تقدَّم بيان أنه لَـم يثبت! انظر (ص٩).

وصحَّ عنه أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم: شَهَواتُ الغيِّ في بُطونكم وفروجكم، ومُضلاَّتُ الهَوى»[(١)].

* السادس والعشرون: أن اتِّباع الهوى من المُهلكات.

قال ﷺ: «ثلاثٌ منجياتٌ، وثلاثٌ مهلكات، فأما المُنجيات: فتقوى الله ﷻ في السرِّ والعلانية، والقولُ بالحَقِّ في الرِّضا والسخط، والقصدُ في الغنى والفقر، وأما المُهلِكاتُ: فهوًى متَّبعٌ، وشُحٌّ مُطاعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٥٢٢ و٥٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٢)، عن أبي برزة، وأورده الحافظ المنذري في كتابه الترغيب (٣/ ١٤١) وقال: رواه أحمد، والطبراني، والبزار، وبعض أسانيدهم رجاله ثقات.

(٢) أورده المصنف في روضة المُحبين (ص ٤٠٣)، وعزاه لـ «المسند» ولَم أره به، ولَم يعزه له السيوطي في الجامع (٣٠٤١)، والمناوي في الفيض (٣/ ٣٠٦)، وشيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢)، وأخرجه البزار (٨٠ و٨١)، والعقيلي (٣/ ٤٤٧)، وأبو نعيم (٢/ ٣٤٣) و(٦/ ٢٦٨-٢٦٩)، و(٣/ ٢١٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٢٥-٣٢٦) من طرق ضعيفة عن أنس، وهي تقوي بعضها بعضًا.

وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم.

* السابع والعشرون: أن مُخالفة الهوى تورثُ العبد قوةً في بدنه وقلبه ولسانه.

قال بعض السلف: الغالبُ لِهواه أشدُّ من الذي يفتح المدينة وحده.

وفي الحديث الصحيح المرفوع: «ليس الشديدُ بالصُّرعة، ولكنَّ الشديدَ الذي يَملك نفسَهُ عند الغضب»[(١)]. وكلما تَمرَّن على مُخالفة هواه اكتسب قوةً إلى قوَّته.

* الثامن والعشرون: أن أغزَرَ الناس مروءةً أشدُّهم مُخالفةً لِهواه.

قال معاوية: المروءَةُ: ترك الشهوات، وعصيان الهوى، فاتِّباع الهوى يُزمن المروءَة، ومُخالفته تُنعشها.

* التاسع والعشرون: أنه ما من يوم إلا والهَوى والعقلُ يعتَلِجان[(٢)] في صاحبه، فأيها قويَ على صاحبه طَرَدَهُ وتَحكَّم، وكان الحُكم له.

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٣١)، ومسلم (٢٦٠٩)، ومالك (٢/ ٩٠٦)، والبغوي (٣٥٨١)، وأحمد (٢/ ٢٣٦ و٢٦٨ و٥١٧) عن أبي هريرة.

(٢) يصطرعان.

قال أبو الدرداء: «إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعقله، فإن كان عقلُه تَبَعًا لِهواهُ فيومُهُ يومُ سوءٌ، وإن كان هواهُ تبعًا لعقله فيومُه يومٌ صالحٌ».

* الثلاثون: أن الله ﷻ جعل الخطأ واتِّباع الهوى قرينين، وجعل الصواب ومُخالفة الهوى قرينين.

كما قال بعضُ السلف: إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيُّهما أرشدُ، فخالف أقربها من هواك، فإن أقرب ما يكون الخطأُ في متابعة الهوى.

* الحادي والثلاثون: أن الهوى داءٌ، ودواؤهُ مُخالفته.

قال بعض العارفين: إن شئت أخبرتُك بدائكَ، وإن شئت أخبرتُك بدوائك، داؤك: هواك، ودواؤك: تركُ هواك ومُخالفته.

وقال بشر الحافي -رحمه الله تعالى-: البلاءُ كلُّه في هواك، والشفاء كلُّه في مُخالفتك إياه.

* الثاني والثلاثون: أن جهاد الهوى إن لَمْ يكن أعظم من جهاد الكفار؛ فليس بدونه.

قال رجلٌ للحَسَن البصريِّ -رحمه الله تعالى-: يا أبا سعيد، أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: جهادُك هواك.

وسَمعتُ شيخنا[(١)] يقول: جهادُ النفس والهوى أصلُ جهاد الكفَّار والمنافقين، فإنه لا يقدرُ على جهادهم حتى يُجاهدَ نفسه وهواه أولاً حتى يَخرج إليهم.

* الثالث والثلاثون: أن الهوى تَخليطٌ[(٢)] ومُخالفته حِميَةٌ[(٣)]، ويُخاف على من أفرط في التخليط وجانَبَ الحِمية أن يصرعَه داؤه.

قال عبد الملك بن قُرَيب[(٤)]: مررت بأعرابِي به رمدٌ شديدٌ، ودموعُهُ تسيلُ على خديه، فقلت: ألا تَمسح عينيك؟ قال: نَهاني الطبيبُ عن ذلك، ولا خير فيمن إذا زُجر لا ينزجر، وإذا أُمر لا يأتمر، فقلت: ألا تشتهي شيئًا؟ فقال: بلى؛ ولكنِّي أحتمي، إن أهل النار غلبت شهوتُهم حميتهم فهلكوا.

(١) وهو شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

(٢) اضطراب.

(٣) الحِميَةُ: هي الامتناع عما يضر والوقاية منه.

(٤) هو الأصمعي المشهور، توفِّي سنة (٢١٦هـ) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠).

* الرابع والثلاثون: أن اتِّباع الهوى يُغلق عن العبد أبوابَ التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان، فتراه يَلهَجُ[1] بأن الله لو وفَّق لكان كذا وكذا، وقد سدَّ على نفسه طرقَ التوفيق باتباعه هواه.

قال الفضيل بن عياض[2]: من استحوذ عليه الهوى، واتِّباع الشهواتِ، انقطعت عنه مواردُ التوفيق.

وقال بعض العلماء: الكُفر في أربعة أشياء: في الغضب، والشهوة، والرغبة، والرهبة، ثم قال: رأيت منهن اثنتين: رجلاً غضب فقتل أُمه، ورجلاً عشق فتنصَّر[3].

وكان بعضُ السلف يطوف بالبيت فنظر إلى امرأة جَميلة فمشى إلى جانبها ثم قال:

أهوىٰ هـوىٰ الـدِّين واللذاتُ تعجبني

فكـيف لِـي بِهـوىٰ اللـذات والـدِّين

---

(١) يُكرِّر الكلام كثيرًا.

(٢) توفِّي سنة (١٨٧هـ)، ترجمته في الحلية (٨/ ٨٤).

(٣) وهكذا غالب من على شاكلته، عياذًا بالله!!

فقالت: دع أحدَهُما تنل الآخر.

* الخامس والثلاثون: أنَّ من نصر هواه فسد عليه عقلُه ورأيهُ؛ لأنه قد خان الله في عقله فأفسدَهُ عليه، وهذا شأنُه ﷻ في كلِّ من خانَه في أمرٍ من الأمور، فإنه يُفسده عليه.

وقال المعتصم يومًا لبعض أصحابه: يا فلان، إذا نُصر الهَوى ذهب الرأي.

وسَمعتُ رجلاً يقول لشيخنا[1]: إذا خان الرجلُ في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد -أو قال: نسيه- فقال الشيخُ: هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم.

* السادس والثلاثون: أنَّ من فسح لنفسه في اتِّباع الهوى ضَيَّق عليها في قبره ويوم مَعاده، ومَن ضيَّق عليها بمُخالفة الهوى وسَّع عليها في قبره ومَعاده.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢]. فلما كان في الصبر -الذي هو حبسُ النفس عن

---

(١) وهو ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

الهوى- خشونةٌ وتضييقٌ، جازاهم على ذلك نعومةَ الحرير وسعة الجنة.

وقال أبو سليمان الدَّاراني -رحمه الله تعالى- في هذه الآية: جزاهم بِما صبروا عن الشهوات.

* السابع والثلاثون: أن اتِّباع الهوى يصرعُ العبد عن النُّهوض يوم القيامة عن السعي مع الناجين، كما صرع قلبه في الدُّنيا عن مرافقتهم.

قال محمد بن أبِي الورد: إن لله ﷻ يومًا لا ينجو من شرِّه منقادٌ لِهواه، وإن أبطأ الصَّرعى نَهضةً يوم القيامة صريعُ شهوته، وإن العقولَ لَـمَّا جرت في ميادين الطلب كان أوفرها حظًّا من يطالبُها بقدر ما صحبه من الصبر، والعقلُ معدن، والفكر معوَّل.

* الثامن والثلاثون: أن اتِّباع الهوى يحُلّ العزائم ويوهنها، ومُخالفته تشدُّها وتقوِّيها.

والعزائم هي مركبُ العبد الذي يُسَيِّرُهُ إلى الله والدَّار الآخرة، فمتَى تعطَّل المركوبُ أوشك أن ينقطع المسافر.

قيل ليحيى بن معاذ: من أصحَّ الناس عزمًا؟ قال: الغالبُ لهواه.

ودخل خَلَف بن خليفة على سُليمان بن حبيب بن المُهلَّب وعنده جارية يقال لَها: البدر، من أحسن الناس وجهًا، فقال له سليمان: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي أحسن منها قطُّ، فقال له: خذ بيدها، فقال: ما كنت لأفجع الأمير بها، وقد رأيت شدَّة عجبه بها، فقال: ويحك خذها على شدَّة عجبِي بها، ليعلم هواي أنِّي له غالب، وأخذ بيدها وخرج، وهو يقول:

لقد حبانِي وأعطانِي وفضلنِي ... عن غير مسألة منه سليمانُ
أعطانِي البدر خَودًا[1] فِي مَحاسنها ... والبدرُ لَم يعطهُ إنسٌ ولا جانُ
ولستُ يومًا بناسٍ فضله أبدًا ... حتَّى يُغيِّبني لحدٌ وأكفانُ

* التاسع والثلاثون: أن مثَلَ راكب الهوى كمثل راكب فرس حديد صعب جَموح لا لِجام له، فيوشك أن يصرعه فرسُه في خلال جريه به، أو يسير به إلى مَهلِك.

---

(١) الخود: هي الشابة الناعمة.

قال بعض العارفين: أسرعُ المطايا إلى الجنة: الزهدُ في الدُّنيا، وأسرع المطايا إلى النار: حبُّ الشهوات، ومن استوى على متن هواه؛ أسرع به إلى وادي الهلَكات.

وقال آخر: أشرفُ العلماء من هرب بدينه من الدُّنيا، واستصعب قياده على الهوى.

وقال عطاء: من غلب هواهُ عقلَه، وجزعُهُ صبرَهَ؛ افتضح.

* الأربعون: أن التوحيد واتِّباع الهَوى متضادان، فإن الهَوى صنمٌ، ولكل عبد صنمٌ في قلبه بِحسب هواه، وإنـما بَعَثَ الله رُسُلَه بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مُرادُ الله سبحانه كسرَ الأصنام المُجسَّدة وتركَ الأصنام التي في القلب، بل المرادُ كسرُها من القلب أوَّلاً.

قال الحَسن بن علي المطَّوِّعي: صنمُ كلِّ إنسان هواه، فَمَن كسره بالمُخالفة استحقَّ اسمَ الفُتُوَّة.

وتأمَّل قولَ الخَليل ﷺ لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، كيف تَجده مطابقًا للتماثيل التي يَهواها القلبُ

ويعكفُ عليها ويعبدُها من دون الله، قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣-٤٤].

* الحادي والأربعون: أنَّ مُخالفةَ الهَوى مَطرَدَة للداء عن القلب والبدن، ومتابعتَهُ مَجلَبَةٌ لداء القلب والبدن، فأمراضُ القلب كلُّها من متابعة الهوى، ولو فتَّشتَ على أمراض البدن لرأيتَ غالبَها من إيثار الهَوى على ما ينبغي تركُه.

* الثاني والأربعون: أن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتِّباع الهَوى، فمَن خالفَ هواهُ أراحَ قلبَه وبدنه وجوارحَه؛ فاستراح وأراح.

قال أبو بكر الورَّاق: إذا غلب الهَوى أظلم القلبُ، وإذا أظلم ضاق الصدرُ، وإذا ضاق الصدرُ ساء الخُلُقُ، وإذا ساء الخُلُقُ أبغضه الخلق وأبغضهم.

فانظر ماذا يتولَّد من التباغض من الشرِّ والعداوة وترك الحُقوق وغيرها!.

* **الثالث والأربعون**: أن الله ﷻ جعل فِي العبد هوًى وعقلاً فأيُّهما ظهر؛ توارى الآخر، كما قال أبو علي الثقفيُّ: من غَلَبَه هواه؛ توارى عنه عقلُه.

فانظر عاقبةَ من استتر عنه عقلُه وظهر عليه خلافه.

وقال علي بن سهل رَحِمَهُ اللهُ: العقل والهَوى يتنازعان، فالتوفيقُ قرينُ العقل، والخذلان قرينُ الهوى، والنفس واقفةٌ بينهما، فأيُّهما غلب كانت النفسُ معه.

* **الرابع والأربعون**: أن الله ﷻ جعلَ القلبَ ملِكَ الجوارح، ومعدن معرفته ومَحبته وعبوديته، وامتحنه بسلطانين وجيشين وعونين وعدَّتين.

فالحَقُّ والزهدُ والهدى سلطانٌ، وأعوانُه الملائكة، وجيشُه الصدق والإخلاص ومُجانبة الهَوى.

والباطل سلطانٌ، وأعوانُه الشياطين، وجندُه وعُدَّته اتِّباع الهوى.

والنفس واقفةٌ بين الجيشين، ولا يقدمُ جيش الباطل على القلب إلا من ثغرتها وناحيتها، فهي تُخامر على القلب وتصير مع عدوه عليه

فتكون الدائرة عليه، فهي التي تعطي عدوَّها عدَّةً من قِبَلِها، وتفتح له باب المدينة فيدخل ويتملَّك ويقع الخذلان على القلب.

* **الخامس والأربعون**: أن أعدى عدوٍّ للمرء شيطانُه وهواهُ، وأصدقَ صديق له عقلُه والمَلَك الناصحُ له، فإذا اتَّبع هواه أعطى بيده لعدوِّه واستأسر له، وأشمته به، وساء صديقه ووليَّه، وهذا هو بعينه هو جهد البلاء، ودركُ الشقاء، وسوءُ القضاء، وشماتة الأعداء(1).

* **السادس والأربعون**: أن لكل عبد بدايةً ونهايةً، فمن كانت بدايتُه اتباعَ الهوى؛ كانت نهايته الذلَّ والصغار والحرمانَ والبلاءَ المتبوع بِحسب ما اتَّبع من هواه، بل يصيرُ له ذلك في نهايته عذابًا يعذب به في قلبه كما قال القائل:

مآربُ كانت في الشباب لأهلها ... عذابًا فصارت في المشيب عذابَا

فلو تأمَّلت حالَ كلِّ ذي حال سيئة زَرِيَّةٍ لرأيتَ بدايتَه الذهابَ مع هواهُ، وإيثارَهُ على عقله، ومن كانت بدايتُه مُخالفةَ هواه وطاعةَ داعي رشده؛

---

(1) وقد استعاذ رسول الله ﷺ من ذلك، وأمر بِهَا، كما فِي الحَديث الذي رواه البخاري (١١/ ٤٤٩)، ومسلم (٢٧٠٧)، والنسائي (٨/ ٢٦٩ و٢٧٠) عن أبِي هريرة.

كانت نهايتُه العزَّ والشرفَ والغنَى والجَاه عند الله وعند الناس.

قال أبو علي الدَّقاق: مَن ملك شهوته في حال شَبيبته أعزَّه الله تعالى في حال كهولته.

وقيل للمهلَّب بن أبِي صفرة: بِمَ نلتَ ما نلتَ؟ قال: بطاعة الحزم، وعصيان الهوى.

فهذا في بداية الدُّنيا ونِهايتها، وأما الآخرةُ فقد جعل الله سبحانه الجنة نِهاية من خالف هواه، والنار نِهاية من اتَّبع هواه.

* السابع والأربعون: أن الهَوى رقٌّ في القلب، وغُلٌّ في العُنُق، وقيدٌ في الرِّجل، ومُتابعه أسيرٌ لكل سيئ الملكة، فمن خالفه عُتِقَ من رقه وصار حرًّا، وخَلَعَ الغُلَّ من عنقه والقيد من رجله، وصار بِمنزلة رجل سالِمٍ لرجل، بعد أن كان رجلاً فيه شركاء متشاكسون[1].

رُبَّ مستور سبته شهوةٌ ... فتعرَّىٰ ستره فانهتكا

صاحبُ الشهوة عبدٌ فإذا ... غلب الشهوةَ أضحىٰ ملكا

(١) متخالفون.

وقال ابن المبارك:

ومن البلاء وللبلاء علامةٌ ... ألا يُرىٰ لك عن هواك نُزوعُ

العبدُ عبدُ النفس في شهواتِها ... والحرُّ يشبعُ تارةً ويَجوعُ

* الثامن والأربعون: أن مُخالفة الهَوى تُقيم العبدَ في مقام مَن لو أقسم على الله لأبرَّه، فيقضي له من الحوائج أضعاف أضعاف ما فاته من هواه، فهو كمن رغب عن بَعرة فأعطي عوضها دُرة.

ومتبعُ الهوى يفوته من مصالحه العاجلة والآجلة والعيش الهنيء ما لا نسبةَ لِمَا ظفر به من هواه ألبتَّة، فتأمَّلِ انبساطَ يد يوسف الصديق -عليه الصلاة والسلام- ولسانه وقدمه ونفسه بعد خروجه من السجن لَـمَّا قبضَ نفسه عن الحرام[1].

وقال عبدُ الرحمن بن مهدي: رأيتُ سفيان الثوري -رحمه الله تعالى- في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: لَم يكن إلا أن وضعت

(١) وللشيخ عبد الله العَلَمي الغزي، ثم الدمشقي كتاب «مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام» في مُجلدين، وهو من أجمع ما كُتب في بابه.

في لَحدي[1] حتى وقفت بين يدي الله -تبارك وتعالى-، فحاسبنِي حسابًا يسيرًا، ثم أمر بِي إلى الجنة، فبينا أنا أدور بين أشجارها وأنهارها لا أسمعُ حسًّا ولا حركةً؛ إذ سَمعتُ قائلاً يقول: سفيانُ بن سعيد؟ فقلت: سفيان بن سعيد. فقال: تحفظ أنك آثرت الله ﷻ على هواك يومًا؟ قلت: إي والله، فأخذنِي النِّثار[2] من كل جانب.

وقال عبد الرزاق: بعث أبو جعفر الخَشَّابين حين خرج إلى مكة، وقال: إن رأيتم سفيان فاصلبوه، فجاءوا ونصبوا الخشب، وطُلب ورأسُه في حجر الفضيل، فقال له أصحابه: اتَّق الله ﷻ، ولا تُشمت بنا الأعداء، فتقدَّم إلى الأستار ثم أخذها بيده، وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخل مكة.

فتأمل عاقبة مُخالفة الهوى كيف أقامه في هذا المقام.

* التاسع والأربعون: أن مُخالفة الهوى تُوجب شرفَ الدنيا، وشرف الآخرة، وعزَّ الظاهر وعز الباطن، ومتابعته تضع العبدَ في الدنيا والآخرة،

(١) قبري.

(٢) هو ما يُنثر عند حلول السرور من جَميل الأشياء.

وتُذِلُّه في الظاهر وفي الباطن.

وإذا جَمَعَ الله الناسَ في صعيد واحدٍ، نادى مناد: ليعلمنَّ أهل الجمع مَن أهلُ الكرم اليومَ، ألا ليقُم المتقون، فيقومون إلى كل مَحل الكرامة، وأتباع الهوى ناكسو رءوسهم في الموقف في حَر الهوى وعرَقه وألمه، وأولئك في ظلِّ العرش[1].

* الخمسون: أنك إذا تأمَّلت السبعة الذين يظلُّهم الله ﷻ في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظله[2]، وجدتَهم إنما نالوا ذلك الظل بِمخالفة الهوى، فإن الإمام المسلَّطَ القادر لا يتمكن من العدل إلا بِمخالفة هواه، والشابَّ المؤثِر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مُخالفةُ هواه لَم يقدر على ذلك، والرجلَ الذي قلبُه معلَّقٌ بالمساجد؛ إنما حَمَلهُ على ذلك مُخالفة الهوى الداعي له إلَى أماكن اللذات، والمتصدِّق المُخفي لصدقته عن شِماله لولا قهرُهُ لِهواه لَـم يقدر على ذلك، والذي دعتهُ

(١) هذا من الغيبيَّات، ولا تثبت بدليل صحيح!

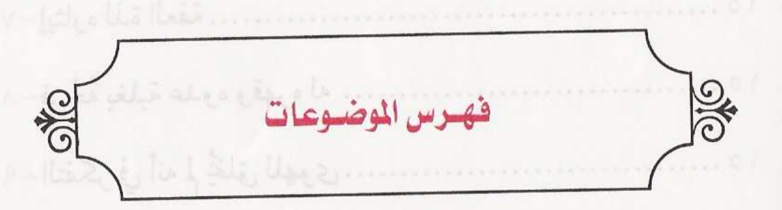
(٢) كما في الحديث الذي رواه البخاري (٢/ ١١٩)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩٢)، والنسائي (٨/ ٢٢٢) عن أبي هريرة.

المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله ﷻ وخالف هواه، والذي ذكر الله ﷻ خاليًا ففاضت عيناه من خشيته، إنما أوصله إلى ذلك مُخالفة هواه، [والرجلين اللذين تَحابَّا في الله لَم يكونا كذلك إلا بِمخالفتهما هوى أنفسهما]، فلم يكن لِحَرِّ الموقف وعرقه وشدَّته سبيلٌ عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحرُّ والعرق كل مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى.

فالله سبحانه وتعالى المسئول أن يُعيذنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء، وأن يجعل هوانا تبعًا لِـمَا يُحبُّه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

[تـمت الرسالة والحمد لله]

الفهـرس



فهرس الموضوعات

* * *